



كم يا ترى كان عدد المسلمين منذ غزوة أحد إلى فاجعة بئر معونة، لا شك أن عددهم كان قليلاً بالقياس إلى عدد الشهداء الذين قضوا نحبهم في هذه الفترة الوجيزة، مائة وخمسون شهيداً ارتفوا إلى ربهم فرحين مستبشرین بما آتاهم الله من فضله، سبعون شهيداً في أحد، وعشرة شهداء في فاجعة الرجيع، وسبعون شهيداً من فضلاء الصحابة من القراء في فاجعة الغدر اللئيم في بئر معونة، كم خلف هؤلاء من أرامل وأيتام؟

وكم خلفو من أب مكلوم وأم ثكلى، وكم من دموع حرى ذرفت على فقدانهم. هذا العدد يعتبر بالنسبة لعدد المسلمين وقتئذ هائلاً وكبيراً جداً، والمصيبة بفقدانهم - والإسلام لم يستو على سوقه بعد - موجعة، فما كاد المسلمون يضمنون جراحاتهم وألامهم بعد أحد حتى نُكأت الجراحات مرة أخرى في الرجيع وبئر معونة، لقد خلقت هذه الموجع في نفس النبي - صلى الله عليه وسلم - وصحابته آثاراً غائرة خصوصاً فاجعة قراء الرجيع السبعين الذين قتلوا غدرًا في مجزرة رهيبة دنيئة تدل على خسفة فاعليها، مما جعل النبي - صلى الله عليه وسلم - يقنت شهراً متتابعاً في الصلوات الخمس ويؤمن على دعائه من خلفه، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على فداحة المصيبة وكارثية الفاجعة وعظم المصاب وشدة الألم؛ لكن كل ذلك لم يفت في عضد المسلمين ولم يثن عزمهم في مواصلة الدعوة والبذل والتضحية خدمة لدين الله؛ لأن مصلحة الدعوة أهم من الأنفس والدماء؛ بل إن الدعوة لا تنتصر إذا لم تهرق الدماء الزكية التي تضمخ بعها وأريجها جسم الدين والعقيدة، إن هذه الحوادث نماذج من التضحيات الهائلة التي قدمها الصحابة الكرام ليسقوا بدمائهم شجرة الإسلام الطيبة حتى تؤتي أكلها بإذن ربها نصراً وعزة وكرامة وفتحاً مبيناً.

{وكأين من نبي قاتل معه ربيون كثير فما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله وما ضعفوا وما استكانوا والله يحب الصابرين * وما كان قولهم إلا أن قالوا ربنا أغفر لنا ذنبنا وإسرافنا في أمرنا وثبت أقدامنا وانصرنا على القوم الكافرين * فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الآخرة والله يحب المحسنين}.. الله أكبر.. ثواب الدنيا رفقه ثواب الآخرة، وفوق ذلك محبة الله جزاء على إحسانهم، وهل جزاء الإحسان إلا الإحسان.. إن كل المصائب والفوجع والآلام تتوارى حياء أمام هذا الفيض

الرباني، وحيال رفرفة المحبة الربانية، إنه الكرم والجزاء الذي لا يعادله جزاء.

يا أهلاًنا ويا إخواننا ويا أحبتنا في سوريا.. يا من قمت في وجه أعنى طاغوت يؤزه طواغيت على شاكلته في الإجرام، يا من وقفت شامخين كالطود الأشم الراسخ في وجه الأعاصير المائحة من شياطين الإنس والجن تستعيدين الحرية والعزة والكرامة، يا من ترابطون على ثغور الإسلام في بلاد الشام، لئن كنتم قدّمتم وبذلتكم وفقدتم الأحبة والخلان وأخرجتم من دياركم وسلبت أمولكم وهدمت بيوتكم وسالت دماً لكم الطاهرة، فلهم سلف في النبي -صلى الله عليه وسلم- وصحابته، فها هو النبي وصحابه فقدوا أكثر مما قدّمتم، وقدموا أكثر مما قدّمتم، وأخرجوا من ديارهم وأموالهم كما أخرجتم من دياركم وأموالكم.. وهذه سنة الله في الدعوات والرسالات.

إن استعادة الحرية المسلوبة تحتاج لثمن، وقد دفعته الثمن وقبضتم الأجر وأديتم ما عليكم، ما دمتم قد أديتم ما عليكم فإن الله يؤدي ما عليه، فالله لا يخلف الميعاد، والجزاء مضمون عند الله.. روى الحاكم عن عثمان - رضي الله عنه - قال: سمعت رسول الله - صلی الله عليه وسلم - يقول: ((حرس ليلة في سبيل الله أفضل من ألف ليلة يقام ليلاً ويصام نهارها)).. هذا ثوابكم يا أيها الثوار الفضلاء.. لا تتضاءل أمام الثواب التضحيات، وتهون المصيبات.

يا أيها الثوار المرابطون على ثغور الحرية، الحراسون للحرمات والأعراض في أرض الشام التي أصبحت أرض خوف، هنيئاً لكم ثواب حراستكم.. روى الحاكم عن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن النبي - صلی الله عليه وسلم - قال: ((ألا أبئكم بليلة أفضل من ليلة القدر؟ حارس حرس في أرض خوف لعله أن لا يرجع إلى أهله)).

أعطوا ضريبتهم للدين من دمهم ** والناس ترعم نصر الدين مجانا
عاشوا على الحب أفواهاً وأفئدتها ** باتوا على المؤس والنعماء إخوانا
الله يعرفهم أنصار دعوته ** والناس تعرفهم للخير أعونا

لا تظنوا أنكم وحدكم في الميدان فإن الله معكم، والملائكة تثبتكم، ووراءكم أمة من المؤمنين في كل الأرض قلوبها معكم تتوجع لمصابكم وتتألم لآلامكم، وألسنتها تلهم بالدعاء لكم.

ولقد اتصلت أسباب الأرض بأسباب السماء، وما هي إلا لمحه خاطفة كلمح بالبصر، فإذا الباطل زهوق، وإذا النصر يتنزل كالبروق.. نعم لقد استأجركم الله، وقمتم بحق الإجارة، وقبضتم الثمن، **وكما قال الشهيد سيد قطب:** "أجراء عند الله أينما وحيثما وكيفما أرادهم أن يعملوا، عملوا وقبضوا الأجر المعلوم! وليس لهم ولا عليهم أن تتجه الدعوة إلى أي مصير، فذلك شأن صاحب الأجر لا شأن الأجير".

وايم الله!! إننا لنغبطكم على اختيار الله لكم لتصنعوا لهذه الأمة مجدها، وتعيدوا لها حريتها، ونعم هذا الاختيار، وإنه لذكر وشرف لكم أن تكونوا أهلاً لهذا الاختيار الرباني، فالله لا يصطفى للمهمات العظيمة إلا العظام.. فامضوا في طريقكم ثابتين على الدرب، ففي الكون شموس وأقمار وآمال.. وارتقبوا النصر فإنه قريب قريب..

المصدر: رابطة العلماء السوريين

المصادر: